

البردة الحسنية

في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم



شعر

أحمد محمد الصديق

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البركة الجديدة
في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

البركة الجارية

في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

شعر

أحمد محمد الصديق

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صدر للشاعر

- ١ - نداء الحق .
- ٢ - الإيمان والتحدى .
- ٣ - قادمون مع الفجر .
- ٤ - قصائد إلى الفتاة المسلمة .
- ٥ - جراح وكلمات .
- ٦ - هكذا يقول الحجر .
- ٧ - طيور الجنة .
- ٨ - أناشيد للصحوّة الإسلامية .
- ٩ - أناشيد للطفل المسلم (١ - ٣) .
- ١٠ - ملحمة الشيشان .
- ١١ - يا سراييفو الحبيبة .
- ١٢ - هو الله .

٨١١,٦

أحمد محمد الصديق

البردة الجديدة في مدح الرسول الأعظم صلى الله
عليه وسلم/ تأليف أحمد محمد الصديق. -- الدوحة:
المؤلف، ٢٠٠١.

٨٠ ص؛ ١٨ سم

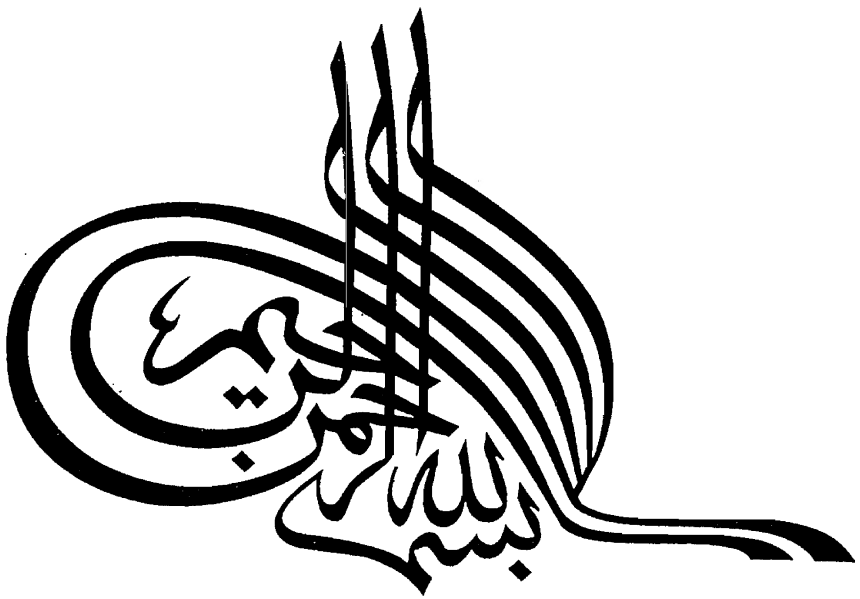
رقم الايداع بدار الكتب القطرية : ٧٠ / ٢٠٠١

الرقم الدولي الموحد للكتاب: ١ - ٦٦ - ٦٧ - ٩٩٩٢١

رقم الايداع بدار الكتب القطرية

٧٠ / ٢٠٠١ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



رَفَع

جيد السمح
الشيخ
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

البردة في اللغة كساء مخطط تجمع على بُرد وبُرد. هكذا قال في الوسيط. ولكن وجدت في مصادر أخرى مثل مختار الصحاح أنها تجمع أيضاً على برود وأبراد، وأن المفرد بُرد وبردة. وفي صحيح البخاري باب سماه (باب البرود) ومن أحاديث هذا الباب قول عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ حين توفي سُجِّي ببردة حبرة. قال الجوهرى : الحبرة بوزن عنبه بُرد يمان، وأضاف آخرون بأنها موشاة مخططة لونها أخضر لأنها لباس أهل الجنة، تصنع من قطن. وكانت أشرف الثياب عندهم. وقال القرطبي : سميت حبرة لأنها تحبر أي تزين، والتحبير هو التزيين والتحسين. وفي حديث سهل بن سعد قال : جاءت امرأة ببردة (قال سهل : أتدرون ما البردة؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها) قالت : يارسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها. فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها (إلى آخر الحديث في البخاري).

وقد استعار البوصيري هذا اللفظ عنواناً لقصيدته الميمية التي مدح بها رسول الله ﷺ، والتي ذاعت وانتشرت على أوسع نطاق .. ولعل سبب شهرتها هو جودتها من الناحية الفنية حيث بلغت في ذلك القمة

وحفلت بالمعاني الجديدة المبتكرة .. والعاطفة الجياشة التي تدل على الصدق والإخلاص .. ولقد تداولها المتصوفة حفظاً وإنشاداً وترديداً في مختلف المناسبات ، فكان ذلك أيضاً من أسباب ذيوها وسعة انتشارها . وهي تبتيء بمقدمة غزلية على عادة الأقدمين .. وفي مطلعها يقول البوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقله بدم
وقد توالى الشعراء على معارضتهم لهذه القصيدة بوزنها وقافيتها وموضوعها .. ولعل أشهر هذه المعارضات قصيدة الشاعر أحمد شوقي التي يقول في مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
وقد أجاد شوقي إجادة البوصيري .. وكلاهما بلغ الغاية في الإبداع الفني من شتى الجوانب .. سواء في الصياغة اللغوية أم المعاني البديعة أم العاطفة الدينية المتأججة أم الخيال المجنح والصور الشعرية الرائعة ... التي تحلق بالقاريء إلى آفاق رحبة من سمو الروح وطهارة الوجدان وقوة التأثير في حب رسول الله ﷺ والتغني بفضائله وشمائله ومكارم أخلاقه وعظمة رسالته التي أرسله الله بها هدى ورحمة للعالمين ..

والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا اختير اسم (البردة) بالذات

وإطلاقه على قصيدة البوصيري .. وعلى معارضاتها من قصائد الشعراء الآخرين الذين جاءوا من بعده؟! وليان ذلك نقول :

لقد نشأت هذه العلاقة بين (البردة) وبين قصائد المديح النبوي منذ أن خلع النبي ﷺ بردته على الشاعر (كعب بن زهير) حين قال :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وقصة ذلك معروفة من خلال المراسلات الشعرية التي تمت بينه وبين أخيه (بُجَيْر) الذي سبقه إلى الإسلام، ونصحته بالاعتذار إلى النبي ﷺ عن هجائه له في شعره، والتوبة عما بدر منه، والدخول في دين الله .. فجاء زهير إلى المدينة متنكراً ليعمل بنصيحة أخيه، واستجار بأبي بكر وقيل برجل يعرفه من جهينه، فأتى به المسجد وهو متلثم بعمامته في صلاة الفجر، فوضع يده في يد رسول الله ﷺ وقال : إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم. قال كعب : أنا يارسول الله كعب بن زهير . وفي رواية : هذا مقام العائد بك يارسول الله ، أنا كعب بن زهير . فتجهمته الأنصار وغلظت عليه ، ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه . فأمنه رسول الله ﷺ ، ولكن كعباً وجد في قلبه على الأنصار .. ثم ذهب ما وجد حيث مدحهم بعد ذلك بإيعاز من رسول الله ﷺ تأليفاً للقلوب وتطيباً للنفوس . وكان كعب قد أعد قصيدة طويلة ليلقيها بين يدي

رسول الله ﷺ يمدحه فيها ويعتذر له .. ويشيد بأصحابه ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به .. وقد أذن له النبي ﷺ بالقائها ، فأنشدها بحضرته داخل المسجد .. وفي مطلعها يقول :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يُفدَ مكبول
ثم يقول بعد مقدمة من الغزل العفيف .. ووصف ناقتة بأسلوب شعري رفيع :

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن .. فيها مواعظ وتفصيل
لاتأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فابتهج الرسول ﷺ وخلع بردته على كعب عندما وصل إلى هذا البيت ، دلالة على إعجابه بما سمع وارتياحه له .. وأصبحت تلك البردة كأنها وسام شرف على صدر الشعر الإسلامي بل تاج على جبين هذا الشعر الذي يمجّد فيم الإسلام ويمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ويدعو إلى الخير والفضيلة ويتغنى بأمجاد هذا الدين العظيم ومآثره ويحض على الجهاد في سبيله والاستمسك بحبل الله المتين ..

ومن هنا نشأت العلاقة بين البردة وبين شعراء المديح لشخص الرسول صلوات الله وسلامه عليه .. على أن قصيدة كعب لم يطلق عليها اسم البردة رغم هذا السبب الذي ربط بينها وبين تلك البردة النبوية .. وظلت البردة بعد ذلك (رمزا) أكثر منها مجرد كساء .. ولذا فإن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - حاول أن يشتريها من كعب بعشرة آلاف درهم فأبى .. فلما مات اشتراها معاوية من ولده بعشرين ألف درهم وقيل بثلاثين .. من أجل أن يحتفظ بهذا الرمز في حوزته .. كخليفة للمسلمين .. وظل الخلفاء من بعده يتوارثوها بعضهم من بعض .. الأمويون منهم ثم العباسيون ومن جاءوا في أعقابهم .. يرتدونها في الأعياد، وقد وصلت إلى سلاطين آل عثمان .. ويقال إنها محفوظة الآن في متحف (توب قوبي) في اسطنبول مع جملة من الآثار الإسلامية النفيسة ..

والذي يهمنا في مقامنا هذا أن أحداً من الشعراء لم يتنبه إلى ذلك الرمز فيتخذه عنواناً لقصيدة من قصائده في مدح الرسول ﷺ حتى جاء الشاعر الفقيه شرف الدين أبو عبد الله البوصيري في القرن السابع الهجري (٦٠٨-٦٩٦هـ) فكتب قصيدته الميمية التي أشرنا إليها وسمّاها (البردة) وتحت العنوان عبارة (الكوكبة الدرية في مدح خير البرية ﷺ) وقد أخذ على البوصيري غلوّه في مدح الرسول ﷺ ..

ومن أبياتها قوله :

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته	لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا إلى الله فالمستمسكون به	مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم وفي كرم
كأنه وهو فرد من جلالته	في عسكر حين تلقاه وفي حشم
أبان مولده عن طيب عنصره	ياطيب مبتدئ منه ومختتم

ويتحدث البوصيري عن النفس فيقول :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على	حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم
فخالف النفس والشيطان واعصهما	وإن هما محضاك النصح فاتّهم

وقد أشرنا من قبل إلى قصيدة الشاعر أحمد شوقي التي سماها
(نهج البردة) ويسير فيها على خطى البوصيري حيث يبدأ بمقدمة
غزلية، ثم يعرّج على نفسه فيتهمها بالتقصير والانغماس في المعاصي
ويلومها على ذلك لوماً شديداً .. ثم يستخلص من ذلك هذه الحكمة
الخالدة وهي قوله :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه	فقوم النفس بالأخلاق تستقم
-------------------------	---------------------------

ثم يقف على باب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كمدخل
للشروع بالمدح والثناء فيقول :

لزمت باب أمير الأنبياء .. ومن	يمسك بمفتاح باب الله يغتنم
محمد صفوة الباري ورحمته	وبغية الله من خَلَق ومن نسم
ونودي (اقرأ) تعالى الله قائلها	لم تتصل قبل من قبلت له بفم
جاء النبيون بالآيات فانصرمت	وجئتنا بحكيم غير منصرم
أتيت والناس فوضى لا تمر بهم	إلا على صنم قد هام في صنم
أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه	والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم	كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
ثم يتحدث عن المعراج فيقول :	

جُبَّتَ السموات أو ما فوقهن بهم	على منورة درية اللجم
حتى بلغت سماء لا يطار لها	على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل : كل نبي عند رتبته	ويامحمد هذا العرش فاستلم

وينوه شوقي بفضل البوصيري فيماسنّ من سنّة حسنة للشعراء
الذين نسجوا على منواله وقدموا للناس عدداً من البرد الشعرية في مدح

المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فيقول في تواضع وأدب :

الله يشهد أنني لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض العرم؟

وإنما أنا بعض الغابطين ومن يُغبط وليك لا يُذمم ولا يُلم

ومن أبرز من عارضوا البوصيري إضافة إلى أحد شوقي الشاعر :

محمود سامي البارودي والكاتب الشاعر علي أحمد باكثير ..

ولا يتسع المقام بعد الذي ذكرناه للحديث عن معارضة هذين الشاعرين

.. لأنني بصدد كتابة مقدمة لا دراسة مقارنة .. فذلك له مجال آخر من

الدراسات الأدبية.

* * *

وبعد ،

فأجدني الآن مضطراً للحديث عن قصيدتي التي أضعتها بين يدي

القاريء .. وقد شاء الله لي أن ألتحق بركب أصحاب «البرد» على

قصوري عنهم .. وقد أسميت قصيدتي (البردة الجديدة) وليس هناك من

تعليل لهذه التسمية إلا كونها جديدة .. فأنا لا أزعم أنها جاءت بجديد

.. رغم أن كل قصيدة من البرد لابد أن تختلف عن الأخريات في معظم

الجوانب إن لم تكن كلها .. ولا يؤلف بينها إلا وحدة الموضوع والوزن

والقفائية .. والمنهج العام الذي يتلخص بمدخل من الغزل العفيف ، ثم

معاتبة النفس وزجرها عن المعاصي .. ثم المديح .. الذي يختم بالدعاء والصلاة على النبي ﷺ .

إلا أنني تناولت في البردة الجديدة موضوعات أخرى من السيرة النبوية العطرة وإشارات إلى بعض الصحابة رضوان الله عليهم مكثفياً بإبراز العبرة التي تستفاد من أبرز مواقف كل منهم .. مع إضاءات كاشفة يقتضيها السياق وتستدعيها معاشة الأحداث وقراءة ما تنطوي عليه من المعاني والأسرار والرموز، مع الحرص على مراعاة الترابط العضوي في بناء القصيدة والانتقال في معارج السيرة من أفق إلى آخر .. في غير ماعنت ولا مشقة ولا تكلف .

وقد راودتني فكرة كتابة السيرة النبوية شعراً للأطفال .. منذ مدة ليست بالقصيرة .. إلا أن شيئاً ما جدد أثناء ذلك لم يكن في الحسبان، وهو رغبة الشبكة الإسلامية التي ترعاها وتشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، حشد ما تيسر من قصائد المديح النبوي لاسيما (البرد) في موقعها على الإنترنت، باعتبار أن ذلك شكل من أشكال خدمة السيرة النبوية ونشرها وغرس حب الرسول ﷺ في النفوس والحض على اتباعه والاقتداء به .. وهذا العمل مع سائر ما ينشر في الموقع يساعد ولاشك على ترسيخ هوية المسلم وتعميق انتمائه الفكري والثقافي .. وولائه لله ولرسوله ﷺ ولدينه الحنيف الذي قال الله فيه (إن الدين عند الله الإسلام) .

عندئذ عقدت العزم على كتابة هذه البردة ودعوت الله عز وجل أن
يمدني بتوفيقه وأن يجعل ما يعينني على عمله وإنجازهِ خالصاً لوجهه
الكريم ... وقد لمست بركة هذا الدعاء أثناء كتابة القصيدة .. فقد
كانت تتم - والحمد لله - بيسر وسهولة .. إلا أن طول القصيدة التي
بلغت ٣١٠ بيتاً، وضعني أحياناً أمام صعوبة في الوقوع على اللفظ
المناسب للقافية .. مما حملني على استعمال بعض الألفاظ الوعرة التي قد
يكون بعضها مهجوراً .. ولهذا عمدت إلى تزويد القراء بملحق خاص
للمفردات ومعانيها .. في آخر القصيدة فضلاً عن تكرار بعض الألفاظ
عند الاقتضاء .

وإنني لأرجو الله عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل ، وأن يبارك فيه ،
وأن يجعله أهلاً لأن تقربه عين رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ،
فيشملني بمحبته وصحبته يوم القيامة ، وليس ذلك على الله بعزيز ..
وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
والحمد لله رب العالمين .

أحمد محمد الصديق
الدوحة - قطر

الجمعة في ١٢ رمضان ١٤٢١ هـ
الموافق ٨ ديسمبر ٢٠٠٠ م

البردة الجديدة

عللتُ قلبي بماء الوصل وهو ظمي

والوصلُ من دونه سدٌّ من الحُرْمِ

أَمْضَهُ الشَّوْقُ لَكِنْ مِنْ تَعَفُّفِهِ

عَافَ التَّصَابِي وَقَاءَ الشَّكِّ وَالتَّهْمِ

عَاتَبْتَهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْتَجَابَ عَلَيَّ

كُرْهُهُ وَقَالَ أَلَا أَقْصِرُ وَلَا تَلُمُ

فَفِي الْجَوَانِحِ مَرَعَى الرَّيْمِ مَذْخَطَرْتُ

تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمْشِي النَّاعِمِ الْأَتَمِ^(١)

إِنْ جَفَّ فِي الْبَانِ مِرْعَاهَا فَفِي كَنْفِي

مَا تَشْتَهِي مِنْ مِرَاعِي الشُّوقِ وَالْهَيْمِ (٢)

يَسْرَحْنَ فَوْقَ (شِبَامٍ) دُونَمَا فَنَزَعِ

وَالْمَاءُ يُشْرِبُنَهُ مِنْ مَنْهَلٍ شَبِمْ

أَمَّا الْهُوَى فَهُوَ صِرْفٌ لَا تَخَالِطُهُ

شَوَائِبُ الْكَدْرِ الْمَذْمُومِ وَالْكَزَمِ (٤)

فَقُلْتُ : مَهْلًا .. فَإِنَّ الْوَصْلَ أَجْمَلُهُ

مَا كَانَ لِلَّهِ فِي حِرْزٍ مِنَ الْوَصْمِ (٥)

وَالنَّفْسُ مِنْ زَادٍ تَقْوَاهَا لَهَا عِوَضٌ

عَمَّا تَرُومُ مِنَ الْأَوْضَارِ وَالْوَخَمِ

نَصَحْتُهُ .. فَارْعَوِ .. وَانْقَادِ مُتَعِظًا

وَعُرْوَةُ الدِّينِ عَهْدٌ غَيْرُ مُنْفَصِّمِ

هَيَّا نَوْمُ رَحَابِ الْمُصْطَفَى صُعْدًا

نَحْوَ الْكَمَالِ .. وَنَحْوَ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ

فَلَيْسَ ثَمَّةَ إِلَّا الطَّهْرُ عَابِقَةً

أَنْفَاسُهُ بِشَذَا الْأَقْدَاسِ فِي الْحَرَمِ

حَيْثُ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى مُحِبَّتُهُ

كَالشَّهْدِ تُشْفَى بِهِ الْأَبْدَانُ مِنْ سَقَمِ

وَحَبِّهِ حُبٌّ مَنْ بِالنُّورِ أَرْسَلَهُ

لَا يَرْتَقِي نَحْوَهُ إِلَّا ذَوُو الْهِمَمِ

لَعَلَّ تَشْمُلَنَا بَشَرَى شِفَاعَتِهِ

فِي يَوْمِ عَرْضِ شَدِيدِ الْوُطْءِ مُزْدَحِمِ

لَعَلَّ شَرْبَةَ مَاءٍ مِنْ نَدَى يَمِينِهِ

تَحْدُو بَنَا نَحْوَ دَارِ الْخُلْدِ مِنْ أُمَّمِ^(٦)

حيثُ النِّعيمُ الذي طابَّتْ مغارسُهُ

ولا تُضارِعُهُ نِعْمَى مَنْ النِّعَمِ

حيثُ السَّعادةُ في أعلى مراتبِها

جلَّتْ عن الوصفِ أو دَقَّتْ عن الكلامِ

هذا الكتابُ هو الهادي بشرعته

وتلك سنَّتُهُ بحرٌ من الحِكَمِ

هما جناحان للإسلام... بينهما

حلَّقَ بنورِ الهدى في أرفعِ القممِ

كِلَاهُمَا بشُعاعِ الوحيِ مؤتَلِقٌ

يطوي الضَّلالَ كطيِّ الفجرِ للظلمِ

هدايةُ اللهِ للإنسانِ أفضلُ ما

يُعطاه .. فليُشرقِ الإسلامُ في الأمَمِ

عدلاً .. وبراً وإحساناً ومرحمةً

ورفعةً في سماء العلم والقيم

دنياه محرابٌ تقديسٍ وتزكيةٍ

ونحو أخراه يمضي ثابت القدم

و كلما ازداد قرباًنا لغايته

حتّ الخطي مسرعاً كالسهم حيث رُمي

وليس إلا رضاء الله مطمعه

ونصرة الحق في البأساء والإزم^(٧)

قواعد الدين أرساها النبي وقد

شَبَّ الصحابة في روض من الشيم

أحاطهم بسياج من عنايته

وعينه حولهم بالبر والرحم^(٨)

أَعَدَّهُمْ لِبِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ عَلَى

هَدْيٍ مِنَ اللَّهِ فِي حَرْبٍ وَفِي سَلَامٍ

رَهْبَانٍ لَيْلٍ وَفَرَسَانٍ إِذَا انْتَدَبُوا

خَاضُوا الْوَعْيَ دُونَ خِذْلَانٍ وَلَا سَأَمٍ

(عَرَفْتَ فَالزَّمْ) كَذَاكَ الْعِلْمُ مَقْصَدُهُ

لِلَّهِ أَكْرَمَ بَذِي عِلْمٍ وَمُلْتَزِمَ

دَعْوَاكَ مَصْدَاقُهَا الْأَعْمَالُ صَالِحَةٌ

فَجَاهِدِ النَّفْسَ فِي صَبْرٍ وَفِي كَظَمٍ^(٩)

نَبْرَاسُكَ الْحَقُّ مِنْهَا جُ الرِّسُولِ عَلَى

سَنَاهُ فَانْهَضْ إِلَى الْعِلْيَاءِ وَاسْتَقِمِ

تَشَعُّ أَضْوَاؤُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ

بَيْنَ الْخَلَائِقِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمٍ

فاقبس إذا شئت ما يُغنيك ملتَمِساً

سَبِيلَهُ وبحبلِ اللهِ فاعتَصِمِ

* * *

يا يومَ مَوْلِدِهِ شمساً أَطْلَّ عَلَى

هذا الوجودِ كريمِ الأَصْلِ والرحِمِ

سَرُّ تَنْقَلٍ فِي الْأَصْلَابِ يحفظُهُ

رَبُّ السَّمَاءِ لِيَوْمِ خُطِّ فِي الْقِدَمِ

رَأَتْهُ نَوْراً يُضِيءُ الْكَوْنَ آمَنَةً

قَبْلَ الْوِلَادَةِ يَمْحُو حُلُكَةَ الْغَسَمِ (١٠)

قَالُوا يَتِيمٌ .. وَمَافِي الْيَتَمِ مَثَلَبَةٌ

وَالدُّرُّ أَفْضَلُهُ الْمُوصُوفُ بِالْيَتَمِ

سلوا حليلة ما حازته من شرفٍ
إذ أَرْضَعَتْهُ .. ففاضَ الخيرُ في الخِيَمِ
سلوا مَطِيَّتَهَا العجفاءَ إذ نشطتْ
سَبَّاقَةً في طريقِ الركبِ كالنَّسَمِ
ها همَّ أولاءِ بنو سَعْدٍ به سَعِدُوا
سامتْ سوائِمُهُم في السَّهْلِ والأَكَمِ (١١)
سلوا ضُرُوعَ المواشي وهي حافِلَةٌ
وكمْ شَكَتْ قَبْلُ من شُحٍّ ومنْ عَدَمِ
روحَ مَبَارَكَةٍ تَلِكُ التي نَزَلَتْ
ديارَهُمْ فغَدَتْ سَحَّاحَةَ الدِّيَمِ
ضَمَّتْهُ في حَجْرِهَا واللَّهُ آثَرُهَا
بِهِ وبِفَضْلِ مِنْهُ مَنْسَجِمِ

وبينما هو في الأترابِ إذ هَبَطَتْ

بعضُ الملائكِ في رُحْمَى بلا هَزَمٍ (١٢)

شَقَّتْ لَهُ صدرَهُ غَضًّا تَطْطَهَّرُهُ

بمَاءٍ زَمْزَمَ تَطْهِيْرًا بَغْـيِرَ دَمٍ

فلا سَبِيلَ لِشَيْطَانٍ عَلَيْهِ ولا

لِلْجَهْلِ مِنْ بَعْدِهَا أوْ فِتْنَةِ الصَّنَمِ

قَدْ صَانَهُ اللهُ مُحْفُوفًا بِعَصْمَتِهِ

مِنْذُ الطُّفُولَةِ عَنْ رَجَسِ الذُّنُوبِ حُمِي

* * *

أَمَّا بِحِيْرًا ففِي أَخْبَارِهِ عَجَبٌ

لَمَّا رَأَى فِيهِ مَا يَرْجُوهُ مِنْ سَيِّمٍ (١٣)

هذا الغلام هو الموعدُ أعرفهُ

هو النبيُّ ولا احتـَاجُ للقسمِ

تقولُها بلسانِ الحالِ نظـرُتهُ

وقد تفرَّسَهُ كالحاذقِ الفهمِ

وراح يسألُ عنه عمَّهُ وبـدا

مَنْ فرطَ إلحاحِهِ المَهمومِ في رَأْمِ^(١٤)

إِنْ شئتَ بابنِ أخيكَ الخيرَ عُدَّ عَجَلاً

واحذرْ عليه يهودَ الغدرِ واكتـَتمِ

فلو رآتهُ يهودٌ أو سـعـوهُ أذى

وحـدَّجـوهُ بسـهمِ الغادرِ الخـصـمِ

أصبتَ يا صاحبَ الدَّيرِ العتيقِ أجـلُ

نطقتَ بالصّدقِ لم تُخطئْ ولم تـهمِ^(١٥)

أَسْفَارَكُمْ بِشَّرِّتِ وَالْأَنْبِيَاءُ بِهِ

حَتَّى تَجَلَّى بِوَصْفٍ غَيْرِ مُنْبِهِمْ

سَلْمَانُ وَابْنُ سَلَامٍ ثُمَّ أَصْحَمَةٌ

وَكُلُّ ذِي حِكْمَةٍ بِالنِّصْفِ مُتَّسِمٌ ^(١٦)

قَدْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا وَالْحَقُّ رَائِدُهُمْ

يَسْعُونَ لِلْفُوزِ خَلْفَ الطَّاهِرِ الْعَلَمِ

أَمَّا يَهُودٌ فَقَدْ شَبَّتْ سَخَائِمُهُمْ

بِالْإِفْكِ وَالْفِتَنِ النِّكَرَاءِ وَالنَّقَمِ

يُؤَلَّبُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَا فَتَّيُوا

وَيَنْفُثُونَ سُمُومَ الْكُفْرِ كَالْحُمَمِ

وَكُلُّ أَفْعَى طَغَتْ أَنْيَابُهَا قَصِمَتْ

وَخَابَ مَا دَبَّرَ الْأَشْرَارُ مِنْ جُرْمِ

وَشَتَّ اللَّهُ شَمْلَ الظَّالِمِينَ بِمَا

خَانُوا الْعُهُودَ وَمَا دَاسُوا مِنَ الذُّمِّمِ

* * *

يَا لَيْلَةً فِي حِرَاءٍ قَالَ قَائِلُهَا

(اِقْرَأْ) فَشَعَّ وَمِيضُ الْوَحْيِ فِي الظُّلَمِ

وَأَشْرَقَتْ جَنَابَاتُ الْكَوْنِ مَعْلَنَةً

أَنَّ الصَّبَاحَ أَتَى يَا أَرْضُ فَاْبْتَسِمِي

إِنَّ الْقِرَاءَةَ مِفْتَاحُ الْعُلُومِ فَلَا

تَفْتَحُ بِهِ غَيْرَ بَابٍ طَيِّبِ النَّسَمِ

وَالْعِلْمُ لِلْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ غَايَتُهُ

عَلَى الْفَضَائِلِ يعلو راسخ الدَّعَمِ

فسدّوا العزمَ باسمِ اللهِ وانطَلِقُوا
أَعْظَمَ بَجْنَدٍ لِدِينِ اللهِ أَوْ خَدَمِ
يَا أُمَّةَ الْحَقِّ إِنَّ الْجَهْلَ مَنْقَصَةٌ
حَيْثُ التَّخَلَّفُ دَاءُ الْهُونِ وَالذَّمِّ
وَمَا لَكُمْ حُجَّةٌ يَوْمَ النُّشُورِ سِوَى
أَنْ تَجْعَلُوا الْعِلْمَ فِيكُمْ مَعْقِدَ الْهِمَمِ
وَأَنْ تُقِيمُوا صُرُوحَ الْعِلْمِ عَالِيَةً
فِي اللَّهِ لَا فِي غُرُورِ الْإِثْمِ وَالزَّعَمِ (١٧)

* * *

أُمِّيَّةُ الْمُصْطَفَى بُرْهَانُ مُعْجَزَةٍ
قَدْ أَلْجَمْتَ أَدْعِيَاءَ الْكُفْرِ بِاللُّجَمِ

فاعجِبْ له وبحارُ العلمِ نابِعةٌ

مَن قلبه دونِ قرطاسٍ ولا قَلَمٍ

والوحيُ يأتيه بالقرآنِ معجزةً

مُنْضِداً في بديعِ الآيِ والحِكمِ

وليس تبلى على الأيامِ جدُّتهُ

والنُّورُ في دَفَّتَيْهِ غيرُ منْقَصِمٍ

في كلِّ يومٍ له سَبَقٌ يُطِلُّ بِهِ

مِنَ الحقائقِ والأسرارِ في الكلِّمِ

لا تنتهي أبداً شَتَّى عجائبِهِ

على موائدٍ لا تؤذيك بالتَّخَمِ

أحيا به أُمَّةٌ كانت على خَطَرٍ

والشَّمْلُ منها شَتِيتٌ غيرُ ملتئمِ

ما بين فرسٍ ورومٍ ضلَّ طائرُها

تلوذُ بالوثنِ المنصوبِ كالهرم

والسيفُ يعملُ جزاً بالرقابِ ولا

يني وللثَّأرِ ما لللداءِ من ورم

تذوي الورودُ ويفنى كلُّ ذي كبدٍ

حرى ويبقى لهيبُ الحربِ في ضرم

وليس إلا يدُ الرحمنِ تطفئُها

إن شاء بعد امتلاءِ البیدِ بالرجم^(١٨)

وجاء دينُ الهدى يحو بطلعتِه

ليل الضلالِ ويذكي الروحَ في الرَّم

واستيقظتُ أمةٌ من بعد غفلتها

تنساحُ عبرَ فيافي التيهِ والتَّخْمِ^(١٩)

ورفرت راية التوحيد ناشرة

في الخافقين نداءً للخلود نومي

ترسمت نهجه نحو العلا فغدت

أمثولة في علو الشأن والشمم

سادت حضارتها علماً ومعرفة

فوق الحضارات ذات البذخ والبشم^(٢٠)

هذا هو الدين والدنيا له تبع

فإن عكست فقد أخطأت في النظم

وارتد ركبك نحو الذيل منكساً

في دائر من رسوم الدهر منهدم

* * *

بوركت يا ليلة الوحي المنزل في

شهر مزاياه فاقت ميزة الحرم

وذلك رمضان الخير وهولها

أهل وهل مثله في البر والحرم ؟

يا هولها ساعة بل ياروعتها !

والصخر يرج رجاً عند مصطفى

أما ترى المصطفى يأوي لزوجته

يبثها لهم بث الواجف الوجم (٢١)

كلاً وربك قالت وهي واثقة

مما تقول وثوق الراسخ العلم

كلاً وربك لا يخزيك وهو يرى

عظيم فضلك بين الناس كلهم

تُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ تَحْمِلُهُ
كَأَنَّ وَتُحْسِنُ لِلْمَحْرُومِ وَالرَّحِمِ
وَبِالسَّخَاوَةِ تَقْرِي الضَّيْفَ تُكْرِمُهُ
وَلَا تَضُنُّ بِعَوْنِ الْبَائِسِ الْهَرِمِ
وَزَمَلَتْهُ وَقَدْ شَدَّتْ عَزِيمَتُهُ
وَبَشَّرَتْهُ بِمَا تَرْجُوهُ مِنْ نَعَمِ
هَذَا ابْنُ نَوْفَلٍ فَلِنَطْلُبْ مَشُورَتَهُ
فَإِنَّهُ ذُو أَطْلَاعٍ غَيْرُ مُتَّهِمِ
قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ! هَذَا الْوَحْيُ حَلٌّ عَلَى
مُوسَى الْكَلِيمِ فَيَا لِلرَّوْعِ وَالْعِظَمِ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِيهَا يَا فَعَا جَذَعَا
إِذْ يُخْرِجُونَكَ عَقْبَاهَا عَلَى رَغَمِ

أُخْرِجِي هُمُ؟ ! يَا لِلسُّؤَالِ فَهَلْ

كَانَ الْجَوَابُ بـ (لا) أَمْ كَانَ فِي (نَعَمْ)

وَلَا مَسَّ الْحُزْنَ وَجْهًا لَا تُلَامِسُهُ

إِلَّا السَّمَاحَةُ فِي سِيَمَاءِ مُحْتَشِمٍ

وَلَا حَ كَالطَّيْفِ مِنْ خَلْفِ الْغُيُوبِ غَدٌ

فِي لَاهِبٍ مِنْ صِرَاعِ الْكُفْرِ مُحْتَدِمٍ

وَجَاءَ جَبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ يَحْفِزُهُ

وَقُتِ النَّذَارَةُ هِيَا الْآنَ فَلْتَقُمْ

أَعْلَنْ عَلَى النَّاسِ دِينَ الْحَقِّ مُحْتَسِبًا

وَاصْبِرْ فَأَنْتَ بَعَيْنِ اللَّهِ فَاعْتَصِمْ

* * *

يا صيحةً في الصِّفا أن لا إلهَ سِوى

ربِّ السمواتِ فاهتَّزتْ ذُرَى الحَرَمِ

وصاحَ صائحُ أهلِ الشُّركِ في حَنَقٍ

(تَبًّا) وأدبَرَ عنه الجُمُعُ في صَمَمِ

بلْ أنتَ من تبٍّ مذؤومًا أبا لَهَبٍ

والحَيَّزَبونُ التي تَغذوكَ بالسَّخَمِ

يا لِّلقلوبِ إذا اشتَدَّتْ قساوتُها

فالمرءُ من جَهْلِهِ الطَّامِي أصمُّ عَمِي

يا دارةَ الأرقمِ الميمونِ حافِلَةً

بالصفوةِ الغُرِّ كالآسادِ في الأَجَمِ

ما زلتِ معقلَ إيمانٍ ومدرسةً

على الزمانِ ورمزاً خالدِ القيمِ

وكلما حورب الإسلام في بلدٍ
فأنت للسُّرِّ مثلُ الغِمْدِ للخُذْمِ
تَقْضِي الضَّرُورَةَ ما تَقْضِي به فإِذَا
زالتْ فِدُونُكَ لِلْمَيْدَانِ فاقتَحِمِ

* * *

ماذا تريدُ قريشُ في تَنْمِرْهَا
على الضُّعَافِ مِنَ الْعِبْدَانِ وَالْخَدَمِ
ماذا يُضِيرُ إِذَا مَا آمَنْتَ وَغَدَتْ
أَهْلَ الرِّيَادَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالْقَدَمِ (٢٢)
وعانقتُ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ رَافِعَةً
لِوَاءِهَا وَهِيَ فِي الْعِلْيَاءِ بِالسَّيْمِ (٢٣)

لكنها نفخة الشيطان تركسها

إلى الهلاك فيا للجهل والغشم

دارت رحاها على أهل التقي ورمّت

ظَهَرَ النَّبِيُّ بِسَهْمٍ لَاهِبِ الضَّرَمِ

وكذبت وهي تدري صدق لهجته

فهو الأمين الذي يسمو عن التهم

وما رأت منه يوماً وهو أكرمها

ما قد يشين مقام الطهر من خرم^(٢٤)

لكم تمادى أبو جهل وطغمته

في ناغم من لظى العدوان مضطرم

وليس ثمة إلا القهر يفرضه

نهش السياط وظلم الفاجر الحطم^(٢٥)

سلا الجزور علاه وهو مقترب

لله ! شلت يد المستهتر الهكم (٢٦)

جنيت يا بن معيط ما جنيت فذق

ما شاء ربك في النيران من جحـم (٢٧)

الشوك في بابه يؤذيه وهو على

حلم يقابل أهل البغي بالكظم

فن التحدي إذا أتقنته ظفر

ولو رجعت من الميدان بالكدم (٢٨)

أفدي الحبيب وما روعي مكافئة

هذا الفداء له لكنه عشمي (٢٩)

وكيف لا وهو للرحمن رحمته

نورا مبينا وشرعا غير مثلم

* * *

يا آل ياسر صبراً إنَّ موعداكم

ففي جنَّةِ الخلدِ بين الحُور والحُشمِ

ويا بلالُ أَجلُ ربِّ السَّما أَحدُ

قلها فذاك نشيدُ خالدِ الرنمِ (٣٠)

ويا خبيبُ سنَّتِ الركعتينِ لمن

يَسْتَقْبِلُ الموتَ صبراً غيرَ مُهْتَشِمِ (٣١)

وقفتَ وقفةَ رُئبالٍ تُردِّدها

(لا لن أُبالي) قبيلَ الطَّعنِ في الجُشمِ (٣٢)

ويومُ حمزةَ يومُ النِّصرِ ملتحقاً

بالركبِ يَدْمِي رؤوسَ الكفرِ بالسَّهمِ

وشعَّشتُ في قلوبِ الصَّحْبِ فرحتهمْ

كبارقٍ من جبينِ الصُّبحِ مُبتسمِ

ضجّت حناجرهم طُراً مكبّرةً
وزُلزل الشّرك مأخوذاً من الصّدم
إذ جاء من بعده مُستهدياً عمراً
يكاد يفهق من شوقٍ ومن هيم^(٣٣)
يقولُ : آمَنْتُ لَا عُزَى وَلَا هُبْلُ
لكنه الله جلّ الله ذو العِظَمِ
وأنتَ أنتَ رسولُ الله جئتَ لنا
بالحقِّ من عنده والمنهج التّمم
فاصفحْ عن الجهلِ إذ طاشتْ بوادره
إني أتيتُ حليفَ التّوب والنّدم
أبشراً أيا عُمرُ الفاروق أنتَ لها
في نفحةٍ من دُعاءِ المصطفى فعم^(٣٤)

أما الحصارُ فما استطاعوا به تِرةً

هم حُصروا بالذي حاكوه من وهم

ويوم أن أسرفوا شُقَّتْ صَحيفَتُهُ

بعد العناء .. وبعد الجوع والسَّدم (٣٥)

لكنه كان تحيصاً تُصاغُ به

عزائمُ الصَّدق عند البأسِ والقُحم (٣٦)

فليسألوا دودة الأرض التي أَكَلَتْ

تلك الصحيفة أَكُلَ الجائع النِّهم

ما بالهالِمِ تَدَعُ للجورِ من أثر

واللهُ عند اسمِهِ كَفَّتْ عن اللّهم (٣٧)

وإنما هي من جندِ الإلهِ أَتَتْ

لتبطل الظُّلمَ ممَّا خُطَّ في الأدم (٣٨)

أخبرتَهُمْ وهي غيبٌ عن حكايتها

مستمسكاً يا رسولَ الله بالعِصمِ^(٣٩)

وداعياً للهُدى في كلِّ منعَرَج

ولم تُهادنْ ذوي البُهتانِ والدُّجَمِ^(٤٠)

أَلْقَمَتَهُمْ حجراً إذ ساوموكِ وقَدِ

شمختَ فوق شموخِ الطودِ والنُّجُمِ^(٤١)

وعاد كلُّ كبيرٍ وهو منحسرٌ

يجرُّ أذيالَه في ثوبٍ مُنْهَزِمٍ

* * *

وشدَّدَ الكفرُ والطَّغيانُ وطأتهُ

وضاقَ رحبُ الشرى عن كلِّ ذي نَسَمٍ

وَحَطَّ جَبْرِيلُ يُقْتَادُ الْبُرَاقَ دُجَى

ظَهْرًا يُقْلِكُ لِلْأَقْصَى عَلَى سَعَمٍ (٤٢)

وَوَثَّقَتْ عُرْوَةُ الْإِسْرَاءِ آصْرَةً

مَتِينَةَ الْحَبْلِ بَيْنَ الْقُدْسِ وَالْحَرَمِ

ضَمَّتْ إِلَيْكَ مَنَارَ الْقِبْلَتَيْنِ مَعًا

فِي وَحْدَةٍ تَرْفَعُ الْأَقْصَى إِلَى الْقِمَمِ

كِلَاهُمَا فِي رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا

تَفَرُّطُوا وَاحْفَظُوا الْمِيثَاقَ بِالْعَصَمِ

صَلَّيْتَ بِالْأَنْبِيَاءِ الْغُرَّاءِ إِذْ حَضَرُوا

رَمْزًا لِتَسْلِيمِكَ الْمِيرَاثَ فِي الْأُمَمِ

فِيَا رَسُولَ الْهَدَى هَذَا مَقَامُكَ فِي

صَدْرِ النُّبُوتِ فَارْفَعْ قَامَةَ الشَّمَمِ

أنت الإمامُ أَجَلٌ بل أنتَ خاتمُهُمْ

آلتَ إليك رُكَّابُ الدِّينِ بِالْخُطْمِ (٤٤)

وأنتَ سيِّدُهُمْ في صُلْبِ آدَمَ مُذْ

دانوا بعهدٍ مع الرَّحْمَنِ مُنْبَرِمِ

النَّاسُ خَلْفَكَ لَوْ قَدْ أَنْصَفُوا تَبَعَ

وَالْحَقُّ أَوْلَى مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَضْمِ (٤٥)

إِنْ ضَيَّقُوا فَالْسَّمَوَاتُ الْعُلَى فَتَحَتْ

رَحَابَهُنَّ لَضَيْفِ الْوَاحِدِ الْحَكَمِ

وَلِيَتَّهُمْ ذَكَرُوا عُقْبَى الَّذِينَ طَغَوْا

مَنْ قَبْلُ أَوْ ذَكَرُوا مَا حَلَّ فِي إِرَمِ

لَوْ شِئْتَ بِالْأَخْشَبِينَ أَنْدَكَ مَعْقِلُهُمْ

وَأَطْبَقَا فَوْقَهُ مَنْ شِدَّةِ النَّقَمِ

لكنك الرحمة المهداة لو علموا

فعنك ما آثروا غنما لغتنم

ها أنت عند ملك العرش في دعة

فأهنا بقربك محفوظاً من الإزم

معراجك الفذل لم تبلغه خاطرة

من قبل كلا ولو في سرحة الحلم

عرجت جسمًا وروحًا وارتقيت فلم

يبلغ سواك الذي بلغ من سدم

وجئتنا بالمرائي وهي أعجب ما

رأيت من صور غيبة السيم

لكنها عبر للناس باقية

تزين الخير أو تنهى عن الوصم

أَتَحَفَّتْنَا بِصَلَاةٍ فِي السَّمَاءِ شُرِعَتْ
هَدِيَّةً لِدُيِّ الْأَبَابِ وَالْهِمَمِ
كَأَنَّمَا هِيَ لِلْأَرْوَاحِ مُنْطَلَقٌ
فِي عَالَمِ الْفِكْرِ وَالْأَشْوَاقِ وَالْقِيَمِ
تَسْمُو بِقَدْرِ سَجُودِ الْعَقْلِ أَنْفُسُنَا
فِي رَفْرِفٍ مِنْ خَشُوعِ الْقَلْبِ وَالْهَيْمِ
دَعَا مَا تَقُولُ أَهْلُ الشَّرْكِ مِنْ لَغَطٍ
مُكَذِّبِينَ وَدَعَا مَا ثَارَ مِنْ قَتَمٍ (٤٦)
فَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَالصِّدِّيقُ حَاجَتُهُ
كَانَتْ هِيَ الْفَصْلُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلَمِ
إِلَيْهِمْ أَرْتَدَّ سَهْمٌ ضَلَّ غَايَتَهُ
حَتَّى أَصَابَ وَجُوهَ الْقَوْمِ كَالنَّخَمِ (٤٧)

هاجرتَ لا هرباً بل كُنْتَ مـمـثـلاً

أمرَ الإلهِ ولم تخضعْ لِهـتـَضـمـ

هاجرتَ والهجرةُ الغراءُ ما انكشفتْ

إِلا عنِ النصرِ بعدِ الضِّيقِ والغـمـ

إِذْ أـبـرـمـوا خُـطـةً لـلـقـتـلِ فـانـقـلـبـوا

بـخـيـبـةِ الفـاشـلِ المـأخـوذِ بالـلـمـ (٤٨)

عيونهم مُغَمَّضَاتٌ مِثْلُ أَسِيفِهِمْ

فـي جـفـنـيـها وـعيـونُ اللـهِ لَمْ تَنـمـ

مـرـرتَ مـنْ بـيـنـهـم مـسـتـهـزئاً وـحـثـتَ

يـداكَ تُـرَبِّياً عـلـى الـهـامـاتِ والـلـمـ

وكنـتَ فـي الغـارِ مـكـلـوءاً بـما حـجـبـتَ

أبصارَهُمْ عَنْهُ رَغْمَ البأسِ والزَّيْمِ (٤٩)

وبات صاحبك الصديق في ثقةٍ

بما أشرت فلم يفرع ولم يجم

الله ثالثنا وهو الذي معنا

ومن تولاه ربُّ العرش لم يضم

أوهى الخيوط خيوط العنكبوت غدت

درعاً يصدُّ جيوش الظلم والغشم

ها هم يعودون ما آبت شراذمهم

بعد اللُّهات سوى بالخزي والسَّخَم (٥٠)

شعثاً ملامحهم غُبراً تورَّقهم

أوجالهم ويضيقُ الصدرُ بالحزم (٥١)

أعيا سراقه سرٌّ ليس يدركه

إذ الجوادُ كبا أرضاً ولم يقم

ساخت قوائمه والله يردعه

حتى انثنى وهو يطوي الدرب في وجم

(من ها هنا قد كفيتم) تلك قولته

للخيل أو لظهور الأينق الرسم^(٥٢)

سوار كسرى غداً لي يا لموعدة

كأنها حلم يمتد من حلم

هذا المطارد في البيداء أي فتى

تراه؟ يسعى إلى العلياء في التهم^(٥٣) ؟

وهل يبلغ ما يصبو إليه غداً ؟

ودار كسرى أما بالدار من أرم^(٥٤)

مهلاً سراقه بل حقاً ستغنمه

الملك لله لا للهالك الغلم

الفاتحون على الأبواب آتية^{٥٦}
زحوفهم كأتى العارض العرم
تهوى الضياء شعوب^{٥٦} والطغاة لها
سدّ تطاول مثل الأليل^{٥٦} البهم^(٥٦)
لا يُطلع^{٥٦} النور إلا من يُحررها
من الضلالة والكفران^{٥٦} والبكم
وفي الغداة فلول الروم لاحقة^{٥٦}
بالفرس مطرودة^{٥٦} في السهل والحزم

* * *

أطياف^{٥٦} يشرب^{٥٦} قد لاحت وفي ظلل^{٥٦}
من الغمام تراءى^{٥٦} الركب من زمم^(٥٧)

هيا اخرجوا فتية الأنصار واحتفلوا

هذا البشير أتى بالخير والرخم (٥٨)

وأنزلوه قلوباً قبل منزلـه

ثم استعدوا لبذل واكف الديـم

عصائب الشرك شتى والنفاق بدت

تسعى أفاعيه بالأنياب والضغم (٥٩)

فأثبت لهم يا رسول الله معتضداً

بالله حتى يؤول الكفر للهـدم

أخيت بين بني الإسلام فانعطفـت

قلوبهم في وئام بالغ اللحم

وشائج الحب والإيمان تربطهم

في محكم من بناء الحق ملتئم

كأنما الصدقُ والإيثارُ قد نبتا

في روضِهِمُ كنباتِ الشَّيْحِ والشَّغَمِ^(٦٠)

تخللا في ثنايا الطبعِ واصطبغا

بصبغةِ الدينِ لا الأغراضِ والزَّعمِ

زودتهم بسنا القرآنِ فهو لهمُ

نهجُ الحياةِ ونهجُ الروحِ والذِّمِّ

وأنتَ أسوتهم في كلِّ مكرمةٍ

بل أنتَ دستورهم يمشي على قدمِ

دبّوا على الأرضِ أبدانا محلقةً

أرواحهم نحو دارِ الخلدِ كالرَّخَمِ

تأوي إلى الله بل ترجو الشهادةَ في

سبيله فوق دنيا الزيفِ والبَرَمِ

على الجيادِ تراهم طائرينِ إلى

غايَاتِهِمْ في جهادٍ رائعِ الزَّخَمِ

داسوا على شهواتِ الأرضِ ما التفتوا

إلا إلى مُتَعِ الفردوسِ في وَحَمِ (٦١)

أنت السراجُ الذي من نورِهِ اقْتَبَسُوا

حتى أضأؤوا ربوعَ الأرضِ كالنُّجْمِ

بالأَمْسِ كانوا رعاةَ العِيرِ فارتفعوا

وأصبحوا بكِ أهلَ الرَّعْيِ للأُمِّ

واجهتِ كلَّ عدوٍّ غيرِ مَكْتَرِثٍ

بما يُعِدُّ من الأفراسِ واللُّجْمِ

وما انتظرتِ ولكن رَحْتَ تَفْجُوهُ

في عَقْرِهِ لا تُبالي شدةَ القُحَمِ

وخضت بحراً عتيّ الموج مصطخباً

من القتال بلا عجز ولا سأم

والصحب خلفك في المضمار ما اقتربوا

إلا وأنت لهم في الصدر كاللؤم^(٦٢)

تترسوا بك من حمى الوطيس وقد

تصدّع الخصم رهن الخوف والأوم^(٦٣)

والحرب مشروعةً فرضاً إذا وجبت

ذوداً عن الدين أو دفعاً عن الحرم

ومن يُسالم ذئاباً وهي تنهشه

لن يسلم العظم بعد الجلد واللحم

لقد كبحت ذوي الإشرار فانقمعوا

حتى أصيبوا من التّوهين بالكرم^(٦٤)

رسالةُ اللهِ لم تنهضْ على فُرْشٍ

مِنْ الحَرِيرِ وَلَا حَفْلٍ مِنَ النِّعَمِ

وإنما في طريقِ الشوكِ قَدْ دَرَجَتْ

والتضحياتُ تُروِّي نبتَهَا بِدَمِ

حيثُ الشهادةُ لِلتَّامِكِينَ لازِمةٌ

فاصدعْ بصوتِ الهدى والحقِّ والتزمِ

حيثُ الجهادُ سبيلٌ ليس عنه غنى

فاصنعْ كما صنعَ الأبرارُ وائتممِ

وأقبلِ الناسُ للإسلامِ مُفَعِّمةً

صدورُهم بالرضى في غيرِ ما عَتَمَ (٦٥)

كأنما أعتقوا من نيرِ مَظْلَمَةٍ

إلى فضاءٍ رحيبٍ سابغِ النِّعَمِ

دارُ السعادةِ بالأعمالِ قد رُفِعَتْ

صرحاً مُنيفاً نديّ الظلِّ والنَّسمِ

بالأمنِ فاءت وبالإيمانِ قد عُمِرَتْ

وبالفَضائلِ والخيراتِ والشَّيمِ

حضارةٌ مبدأً التوحيدِ جوهرُها

ونُصرةُ الحقِّ والإصلاحِ في الأممِ

الحكمُ لله تسمو فيه دولتُهُ

بريئةٌ من جنوحِ الإثمِ والذَّامِ (٦٦)

الرفقُ والعدلُ والشورى ركائزُها

على المساواةِ والأخلاقِ والرحمِ

أهلُ الكتابين كانوا أهلَ ذمَّتينا

عاشوا على رَغْدٍ في غيرِ ما هَضَمِ

وحيثما دارت الأيام دورتها

ردوا الجميل بطعن الغادر القصم^(٦٧)

ما زاغ في ظلها أو شد من حرفاً

سوى عليل النهى بالغى متسم

البذل أبوابه في الخير مشرعة

ولا يضيع احتساب الأجر في الخدم

وكل ما أهرق الإنسان من عرق

منضد كعقود الماس منتظم

فإن ذلك عند الله مدخر

والغنم بالغرم مثل الغرم بالغنم

للفقر فيها علاج ناجع أبداً

قد سنه الله فرضاً عادل القسم

ولم يَجْعَ في حمى الإسلام غير فتى
في غير مولاه لم يُفْطِرْ ولم يَصُمْ
وكم هنالك من برٍّ مثوبته
تجري كينبوع ماءٍ غير منفصم
وإنما الجوعُ جوعُ النفسِ إن فقدتْ
نورَ الهدايةِ وانسأقتْ بلا زَمَمٍ
والظلمُ يحجبُ أرزاقَ العبادِ كما
تأتي المآثمُ بالحِرمَانِ في الخَتَمِ

* * *

دعني لأنفث ما في الصدر من كُربٍ
ممزوجةٍ يا رسول اللهِ بالألمِ

أسائلُ النفسَ : ما بالُ الجيادِ كبتُ

ففي لَجَلَجٍ من ضبابِ الليلِ مُنبهمِ

أم أنَّ أجنحةَ الفرسانِ قد طُويت

وسامها باطلُ الخِذلانِ بالدَّكَمِ (٦٨)

يذوبُ كالملحِ قلبُ المؤمنين لما

يَـروُن من فتنِ التزييفِ والنَّمَمِ

وما الحصادُ سوى هذا الركّامِ وهلُ

تقومُ نهضةُ عُمرانٍ على الرُّكَمِ

كم نفحةٍ من شذا بدرٍ أرَدَّدْها

شعراً وأشدو نشيدَ الفتحِ ملءَ فمي

لعلني أتَّقِي همًّا يؤرِّقُنِي

مما أكابدُ كاللدوغِ بالسَّمَمِ

وما فشا من هوانٍ لا يُقاسُ به
إلا هوانُ فراخِ الطيرِ والبهم
ونحن مليارٌ معدودٍ وأكثرهم
بُقيا غُثاءٍ عديمِ النفعِ منهم
ها نحن تجتاحنا ريحٌ مُزعزعةٌ
هَبَّت علينا بداءِ العجزِ والعقم
كيد اليهودِ وأحقادُ الصليبِ غدتْ
حلفاً يُخيِّمُ كالكابوسِ في الحُلُم
نُمسي ونُصبحُ والأرزاءُ ترهقنا
كَأَنَّ أوطاننا تطفو على لَغمٍ
تُملى المعاييرُ حتى لا سبيلَ سوى
سبيلِ منفردٍ بالأمرِ محتكمٍ

حَمِيَّةُ الدِّينِ قَالُوا تِلْكَ مُعْضَلَةٌ

أَمَّا الْحِجَابُ فَذَوْقٌ غَيْرُ مُحْتَرَمٍ

تُخِيفُهُمْ صَحْوَةٌ لَاحَتْ بِوَارِقِهَا

وَلَا يَخَافُونَ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ نِقَمٍ

وَعَفَّةُ النَّفْسِ لَا يُعْنَى بِهَا أَحَدٌ

كَعَازِفِ النَّيِّ فِي الْمَرْعَى بِلا غَنَمٍ

أَمَّا الْجِهَادُ فَإِرْهَابٌ يُدَانُ بِهِ

مَنْ بَاعَ لِلَّهِ نَفْسًا غَيْرَ مُتَّهِمٍ

تَرَعَى الزَّنَادِقَ عِلْمَانِيَّةٌ بَسْطَتْ

ظِلَالَهَا فِي رَبْوَعِ الْأَرْضِ كَالظُّلَمِ

الْفُحْشُ وَالطَّعْنُ فِي الْإِسْلَامِ يُتَّقَنُهُ

جَيْشُ الْخَفَافِيشِ وَالْغَرِبَانِ وَالْبُهْمِ

مُقَدَّمُونَ وَإِنْ خَانُوا وَإِنْ فَجَرُوا
يُسْتَدْفَعُونَ إِلَى التَّخْرِيبِ وَالْهَدَمِ
يَكْفَأُونَ عَلَى الْإِلْحَادِ حَظُوتَهُمْ
مَصُونَةٌ فِي حَظَايَا تَلَكُمُ النُّظُمِ
وَالْمَالُ مَنَهَبَةٌ .. وَالْعَابَثُونَ بَلَا
قَيْدٍ .. وَلَا رَادِعٍ .. كَالْآكِلِ النَّهْمِ
أَمَّا الشُّعُوبُ .. ففِي الْأَصْفَادِ رَاذِلَةٌ
غَرَقَى بِبَحْرِ مَنْ الْأَحْزَانِ مُلْتَطِمِ
الْجُوعُ .. وَالْفَقْرُ .. وَالْحَرَمَانُ يُنْهَكُهَا
مَاعَادَ يَنْفَعُ شَدُّ الْبَطْنِ بِالْحَزْمِ
وَمَنْ يَقُلْ مَنَّهُجُ الْإِسْلَامِ فَاحْتَكِمُوا
إِلَيْهِ .. نَالَتْهُ أَيْدِي الشَّرِّ بِالْجَذَمِ (٦٩)

وَالنَّاعِقُونَ وَرَاءَ الْغَرْبِ يَحْفِزُهُمْ

أَسْيَادُهُمْ لَا خِتِرَاقِ الدِّينِ وَالْحُرْمِ

يُجَدِّفُونَ بِلَا وَعْيٍ .. وَلَا حَذَرٍ

وَيَقْصُرُونَ عَنِ الْإِتْقَانِ وَالْقُدَمِ

وَكُلُّهُمْ رَهْنٌ جَحْرِ الضَّبِّ يَجْمَعُهُمْ

وَوَحْيُهُمْ مِنْهُ .. رَغْمَ السُّوءِ وَالْوَحْمِ

الْقُدْسُ ضَاعَتْ بِأَيْدِيهِمْ وَمَا ارْتَدَعُوا

وَمَا أَتَوْنَا بِغَيْرِ الذُّلِّ وَالسَّقَمِ

يَهْرَوِلُونَ .. وَلَمْ يَحْفَلْ بِهِمْ أَحَدٌ

كَأَنَّهُمْ فِي سِباقِ دُونَ مَا حَكَمَ

وَكُلُّ مَا ازْدَادَ طُغْيَانًا صِهَائِنَةً

لَا نَتُّ رِقَابُ لِيَانَ الْخَانِعِ الْهَزِيمِ^(٧٠)

إِنَّ الشَّعَالَ بَقَدْ تُعَدِّي طِبَائِعُهَا
وَقَدْ يُحَاكِي رَعَا عَ ذِلَّةُ النَّعَمِ
كَمْ فِي الْحَوَادِثِ وَالتَّارِيخِ مِنْ عِبَرٍ
قَدْ سُجِّلَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ قَدَمٍ
لِعَائِنُ اللَّهِ حَاقَتْ بِالْيَهُودِ .. كَمَا
حَاقَتْ بِهِمْ حَيْثُ كَانُوا نِقْمَةَ الْأُمَمِ
فِي قَيْنُقَاعَ تَنْزَى كَيْدُهُمْ شَرًّا
مُرَاغَمِينَ .. وَقَدْ بَادُوا بِلَا خُذْمٍ
وَفِي قَرِيظَةَ نَالَ الْغَدْرُ صَاحِبَهُ
بَصَارِمٍ مِنْ يَدِ الْجَبَّارِ مُصْطَلِمٍ ^(٧١)
جَرِثُومَةُ الدَّاءِ إِنْ أَهْمَلْتَهَا قَتَلَتْ
فَاسْتَأْصِلِ الدَّاءَ عِنْدَ الْحَسَمِ يَنْحَسِمِ

وكلُّ راعٍ .. إذا ما عَيْنُهُ انْتَبَهَتْ

ستنتهي لُعْبَةُ الذُّؤْبَانِ والغَنَمِ

ويومَ خَيْرِ شَقِّ الصَّخْرِ حَيْدَرَةٌ

مُزَلْزَلًا لِقْلَاعِ الْكُفْرِ وَالْأُطَمِ (٧٢)

لو كان يَبْرُقُ فينا ذو الْفَقَارِ .. لما

أَلْفَيْتَ "مَرْحَبَ" إِلَّا بَادِي الرَّغَمِ

وكانَ تَأْدِيبُهُمْ غَيْرَ الَّذِي عَرَفُوا

وَمَزَقَتْهُمْ أَسْوَدُ الْغَابِ بِالْأُزْمِ (٧٣)

وَهَبَّتِ الْقُدْسُ لَأَسْتَقْبَالَ عِزْوَتِهَا

رَعْدًا يُزْمَجِرُ .. لَا شِلْوًا عَلَى وَضَمِ (٧٤)

* * *

عفواً رسول الهدى .. لا الشعرُ سوف يفي
كلا .. ولا النثر .. عن أمدوحةٍ بفي
لولا الإطالةُ قد تُخشى .. لفاض بها
بحرُ القريض .. وما أمسكتُ عن سأمِ
أنتَ الذي تؤنسُ الأرواحَ سيرتُهُ
وفي مديحك تهيامي .. ومُغتَنمي
(أحبُّ حبيبك هوناً ما .. سواك .. فمن
يؤثرُ عليك حبيباً .. بآءٍ بالندمِ
لقد وعّاها .. فجلاها لنا عُمرُ
وأصدقُ الحبِّ إيثار .. وبذلُ دمِ
حسبي بأن يأذنَ الرَّحمنُ لي .. فإذا
قُبلتُ .. فهو جزائي وهو مُقتسمي

وإنَّما بكَ تَزْهُو كلُّ قافيةٍ

تَضَوَّعَتْ .. كعبيرِ السَّوسَنِ الفَغَمِ

طيبُ الشَّمائلِ طُراً .. أنتَ مَعْدِنُهُ

وَأنتَ مَجْمَعُ .. كلِّ الفضْلِ والكَرَمِ

وَأنتَ .. أنتَ إلى الخيراتِ أُسْوَتُنَا

وَأنتَ قَائِدُنَا لِلْفَوْزِ وَالشَّمَمِ

بُعِثْتَ بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ .. وَاكْتَمَلْتَ

بكِ الرِّسَالَاتُ .. فالْبَنِيَانُ فِي تَمَمِ

وَلَا مَزِيدَ .. فَمَا بَعْدَ الْكَمَالِ سِوَى

نَقْصٍ .. وَمَنْ رَامَهُ بِالْعَيْبِ لَمْ يُرَمْ

وإنَّما تَنْشَأُ الْآفَاتُ مِنْ بَدَعٍ

مَرْدُودَةٍ .. وَاعْتِقَادٍ غَيْرِ مُنْتَظَمِ

ولا سبيلَ لقولٍ ليس يدَعُمُهُ

نصّ .. ولا حُجَّةٌ تُرْجَى لِمُحْتَكِمٍ

وقد عَجِبْتُ لِفَدَمٍ .. أَوْ رُوبِيضَةٍ

يعوي .. وَسَيْفُكَ صَلَّتْ غَيْرُ مَنْثَلِمٍ

لَوْ حَامَ شَكٌّ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ

فَحَوْلَ طُهْرِكَ طُولَ الدَّهْرِ لَمْ يَحْمِ

وَأَنْتَ فَوْقَ فُلُولِ الْكُفْرِ .. مَا اجْتَمَعُوا

إِلَّا عَلَى الرَّجْسِ .. وَالْآثَامِ .. وَالشُّؤْمِ

لَمْ يَطْعَنُوا أَبَدًا إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ

مَحَمَّدٌ أَنْتَ .. فَوْقَ الشَّتَمِ وَالذَّمِّ

* * *

يا ربَّ أدركْ .. فإنَّ الدينَ قد وهنتْ

حباله .. ودعاةُ الحقِّ في إزم

أوطاننا مرَّغتْ بالذلِّ .. وهي بلا

راعٍ يقودُ سوى للمرَّتعِ الوخم

حيثُ الشَّقاءُ عميمٌ .. والطُّغاةُ على

خطى علوجٍ أتوا بالخسْفِ والوصم

أما العَدُوُّ .. فإنَّ البَغْيَ ديدنه

وليسَ يشبعُ من قَتْلٍ وسَفكِ دَم

ممزَّقٍ شَمَلنا .. والأمنياتُ غدتْ

رؤى سرابٍ .. على البیداءِ في التَّهم

وربَّما أثمرتْ بعضُ المنى .. فخبَّتْ

ظمأى .. وباءتْ عروسُ الحُلُمِ بالأيَم (٧٥)

يا ربَّ فَارْحَمَ .. وسدِّدْ رَمِيَّ مَنْ نَهَضُوا

لعزّة الدين والدُّنيا على قَدَمِ

انْصُرْ لَوَاءَ الْهُدَى .. وَالْطُّفْ بِأُمَّتِهِ

حتى تَعُودَ بِحَقِّ خَيْرَةِ الْأُمَمِ

وَأَنْتَ يَا رَبُّ أَهْلٌ أَنْ تُبَلِّغَنَا

ما نَرْتَجِيهِ مِنَ الْأَمَالِ وَالْجُسْمِ (٧٦)

يا ربَّ صَلِّ وَسَلِّمْ .. ما أضاءَ لنا

نَجْمٌ عَلَى الْمُصْطَفَى .. أَوْ هَبَّ مِنْ نَسَمِ

وَأَنْتَ غَايَتُنَا فِي حُسْنِ مُبْتَدَأِ

وَأَنْتَ غَايَتُنَا فِي حُسْنِ مُخْتَمِ



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

معاني المقدرات

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

معاني المفردات

المعنى	الكلمة	رقم البيت
المبطئ في السير	الأثم	١
الاتقاد في المشي	الهوينى	١
شدة العشق	الهيم	٢
بارد مستساغ . شبام : اسم جبل	شيم	٣
البخل	الكَزَم	٤
العيب	الوصم	٥
قريب	أمم	٦
الشدة	الإزم	٧
العطف والشفقة	الرحم	٨
إمساك النفس عند الغضب مع الصفح .	كظم	٩
ظلمة الليل	الغسم	١٠
رعت بهائمهم	سامت سوائهم	١١
الصوت والضجة	الهزم	١٢
العلامات	السيم	١٣
الحنان	الرأم	١٤
لم تجانب الصواب	لم تهم	١٥

رقم البيت	الكلمة	المعنى
١٦	النَّصْف	العدل والانصاف
١٦	أصْحَمَة	اسم النجاشي
١٧	الزَّعَم	الكذب . وتأتي بمعنى الطمع
١٨	الرجم	الحجارة التي توضع على القبر . وتأتي بمعنى القبر
١٩	التَّخْم	الحدود
٢٠	البَشَم	شدة الشبع ، أو التخمّة
٢١	الواجف	المضطرب
٢١	الوَجِم	الساكت الفزع
٢٢	القدم	التقدم والرفعة
٢٣	السنم	السمو والارتفاع
٢٤	الخرم	النقص أو العيب
٢٥	الحُطَم	العين الذي يحطم الرعية
٢٦	الهَكَم	الذي يتعرض للناس بالشر
٢٧	الجُحَم	جمع جحمة وهي النار الشديدة
		التأجج
٢٨	القدم	أثر الضرب على البدن ، الرضوض
٢٩	العشم	الطمع

البيت رقم	الكلمة	المعنى
٣٠	الرَّثَم	التغريد
٣١	مهتشم	منكسر
٣٢	الجشم	الصدر والضلوع
٣٣	يفهق	يمتليء حتى يتصبب
٣٤	عم	بمعنى أنعم . يقال عم صباحاً . ويفيد الدعاء للمخاطب بالاستسقاء
٣٥	السدَم	الحزن
٣٦	القُحْم	الأمرور العظام التي لا يركبها كل أحد
٣٧	اللَّهَم	الالتهام أو الأكل
٣٨	الأدَم	الجلد . والمراد رُقعة الصحيفة
٣٩	العصم	جمع عصمة وهي الحفظ ، وكل ما يُعصم به
٤٠	الدُّجَم	دُجَم الباطل أو الهوى : غمراته .
٤١	النَّجْم	جمع نجم
٤٢	سَعَم	سرعة سير الإبل
٤٣	العُصْم	المراد الأيدي . والعُصْم جمع العُصْمَة وهي بياض اليدين
٤٤	الخُطْم	جمع خطام وهو زمام البعير الذي يقاد به

المعنى	الكلمة	رقم البيت
الحقد والحسد والغضب	الأُضم	٤٥
الريح ذات الغبار الشديد - الظلام	قَتَمَ	٤٦
دفع النخامة من الصدر	النَّخَم	٤٧
الجنون	اللَّمَم	٤٨
العضل والمراد قوة البدن	الزَّيم	٤٩
السواد، وتأتي بمعنى الحقد	السَّخَم	٥٠
الغصة التي تصيب الحيزوم	الحزم	٥١
النوق التي تترك آثار مشيها في الأرض لقوتها	الأينق الرسم	٥٢
شدة الحر وسكون الريح	التَّهَم	٥٣
أي : أما بها أحد ؟	أما بالدار من أرم ؟	٥٤
الهائج الثائر	الغلم	٥٥
الليالي شديدة السواد	الأليل البُهم	٥٦
قريب	زَم	٥٧
المحبة والمودة والإشفاق	الرخم	٥٨
العض	الضغم	٥٩
اسم نبات	الثغم	٦٠
اسم لما يُشتهى	الوحم	٦١

المعنى	الكلمة	رقم البيت
جمع لأمة وهي الدرع	اللُّؤْم	٦٢
شدة العطش	الأوْم	٦٣
الكزم في الأعضاء القصر والتقلص . وهو المراد هنا كناية عن العجز .	الكَزَم	٦٤
الإبطاء والتأخير	العَتَم	٦٥
العيب	الذَّام	٦٦
مثل الحُطْم وهو العنيف القاسي ...	القُصَم	٦٧
الكسر	الدَّكَم	٦٨
قطع الأصابع أو اليد والمراد التعذيب	الجذم	٦٩
المطيع الهَيِّن	الهَزِم	٧٠
من صلم أي أباد واستأصل	مصطلم	٧١
الحصون	الأطم	٧٢
الأنياب	الأُزْم	٧٣
الخشب الذي يوضع عليه اللحم	الوضم	٧٤
للتقطيع ، والشلو : قطعة اللحم .		
فقدان الزوج	الأيَم	٧٥
الأمور العظام	الجُسَم	٧٦

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

سرُّ تنقل في الأصلاب يحفظه
رب السماء ليوم خط في القدم

رأته نورا يضيء الكون آمنة
قبل الولادة يمحو حلقة الغسم

قالوا يتيم وما في اليتيم مثلبة
والدر أفضله الموصوف باليتيم

سلوا حليلة ما حازته من شرف
إذ أرضعته .. ففاض الخير في الخيم

* * *

أمية المصطفى برهان معجزة
قد أجمت أدعياء الكفر باللجم

فاعجب له .. وبحار العلم نابغة
من قلبه .. دون قرطاس ولا قلم

والوحي يأتيه بالقرآن معجزة
منضداً في بديع الآي والحكم